القياس الدموي وسلالة المصريين

نتائج بحث الدكتور شرف[1]

في سنة ١٩٠١ وجد لاندشتينر تبايناً بين دماء الافراد المختلفة واختلافاً يمتنع معهُ امتزاجها . لان مصل الدم في بعض الناس قد يلبّد كريات الدم الحمراء في دماء اناس آخرين وقد يحلّها حلاً في غيرهم . وتقدم البحث في هذا المضمار فوجدوا ان دم البشر يفرق الى اربع فرَق لكل فريق خواص محدودة

١ — ففي الفريق الاول لا يظهر أي التباد في كريات الدم الحمراء باضافة أي مصل كان اليها

٢ — وفي الفريق الثاني تلبد الكريات بمصل الفريق الثالث أي أن في هذا الدم اجلوتينوجين او مادة ملبدة اطلق عليها حرف (ا)

٣ — وفي الفريق الثالث تلبد كريات الدم الحمراء بمصل الفريق الثاني أي أن في هذا الدم اجلوتينوجين سمي بحرف (ب)

٤ — وفي الفريق الرابع تلبد كريات الدم بمصل الفريق الثاني والثالث أي أن فيها الاجلوتينوجين ا و ب . ولا اطيل عليكم الكلام في شرح الخواص الدموية المعينة التي تسبب هذه الظاهرة فهو شرح فني واسع لا سبيل للكلام عليهِ الآن

وفي سنة ١٩١٦ بحث هرشفلد واخوه دماء ٨٠٠٠ جندي من جنود الشعوب المختلفة التي اجتمعت في اوروبا في اثناء الحرب الاخيرة فوجدا توزيع فرق الدم المذكورة يختلف بين الشعوب اختلافاً عظيماً يمكن بواسطته تعيين الشعوب . ووجدا ان الاجلوتينوجين(ا) وهو المادة الخاصة بفريق الدم الثاني تزيد كثيراً في اهالي اوربا عن المادة(ب) الخاصة بالفريق الثالث . ولما بحثا نسبة توزيع الاجلوتينوجين(ا) الى(ب) في كل شعب وجدا ان الشعوب التي بحثا دماءها تقع في ثلاثة طروز : الطرز الاول الاوربي وفيهِ ا + اب : ب + اب تختلف من ٢ — ٤ . والطرز الآسوي ونسبته ا + اب الى ب + اب اقل من واحد ، وبينهما طرز متوسط نسبته بين ١ و٢ . وسميت هذه النسبة الدليل الشعبي

---

(١) من محاضرته في المؤتمر السنوي الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية

ومن ذلك العهد اتسعت الابحاث حتى شملت شعوباً اخرى لم يرها هرشفلد . وجاء Ottonberg الاميركي وقسم انواع البشر الى ستة طروز ، اذ ظهر ان النسبة المئوية لكل من فرق الدم تختلف اختلافاً ظاهراً في اكثر الامم ، ولكن يمكن ضم بعض الامم الى بعض في طرز واحد ، فوضع الامم التي يتشابه بعضها ببعض في هذه النسب في طرز واحد

وثبت أن الاقوام التابعة لكل طرز ليست فقط متشابهة في النسب المئوية لفرق الدم بل بينها أيضاً روابط جغرافية وثيقة ، كما ثبت أن تفريق الشعوب على أساس فرق الدم مطابق لتوزعها الجغرافي كلَّ المطابقة وأكثر من مطابقته للتقسيم على اساس انثربولوجي (المقاييس العظمية واللونية الخ) . والواقع انه في بعض الاحيان تختلف علاقة بعض الشعوب ببعضها كما يدل عليها بحث الدم عن العلاقة التي دلت اليها من قبل وسائل الانثربولوجية المعهودة . فمثلاً اليهود والروس الذين يختلفون في كثير من الخواص الشكلية والخلقية (التشريحية) والطبائع وفي احوال المعيشة والاشغال مما جعل علماء القومية يقولون باختلافهم شعبًا لهم نسب مئوية مماثلة من فرق الدم الثاني والثالث ودليلهم الشعبي واحد وهو (٣ر١) . والهنود الذين عدّوا من قديم من الوجهة الانثربولوجية اقرباء للاوربيين قد تبين من بحث دمائهم وجود تباين عظيم بينهم وبين الاوربيين . فالدليل الشعبي للهنود هو ٥ر٠ وهو اقرب للاسامي (٨ر٠) منه للاوربي (ودليل الانكليز ٤ر٠ واليونانيين ٥ر٢ وهما اعلى شعوب اوربا بالنسبة لهذا القياس وأدناها)

وجدير بالذكر أن في روسيا يتناقص الفرق (ا) ، ويأخذ الفرق (ب) في الازدياد من الشمال الى الجنوب وذلك بسبب الاختلاط بالعناصر الشرقية . وفي اوربا يأخذ (ب) في الازدياد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بسبب هذا الاختلاط ايضاً . وفي اليابان تتناقص نسبة (ا) وتزداد نسبة (ب) من الجنوب الى الشمال بحيث ان الدليل الشعبي لشمال اليابان يقرب من دليل منشوريا وكوريا المجاورتين لها مما يدل على الاختلاط ايضاً

لا شك اذاً في وجود علاقة مؤكدة بين خواص الدم ومنشإ الشعوب ، لان خواص الدم المتينة وهي (ا) و(ب) تورَّث بحسب قانون مندل ، ولانه ثبت ان نسب توزيع فرق الدم الاربعة تظل في قوم بدون تغير الى ما لانهاية له شرطاً ان لا يدخل عليهم اختلاط غريب

ولا يظهر اي اجلوتينوجين معين في الولد الاّ اذا وجد من قبل في احد ابويه ، فان كان موجوداً في الابوين ظهر في اكثرية الاولاد . وثبت من مباحث (Verger, Wesgeckzy, 1921) ان شعوباً مختلفة (الالمان والصقالبة والنجر) يعيشون احياناً في بلاد الجر منذ قرون ومن دون اختلاط او تباعل الواحد بالآخر وقد احتفظ كل شعب

مهما بخواص دمه ونسب توزيع الفرق فيه وهذه النسب تطابق تماماً توزيعها في هذه الشعوب المقيمة في بلاد اخرى

فزمر الدم اذاً مقررة لا تتغير ابداً ولا علاقة لها بالعمر او الشق (Sex) او الاقليم او الغذاء ولا تتأثر بالبيئة او المرض . وفرق الدم صفة متينة ثابتة تلازم الفرد ولا تتغير فيه ، ولذلك صارت نسب توزيع فرق الدم ميزة للشعب وخاصة به مهما تنقل على وجه الارض او انتشر افراده . فالفجر الاوربيون الذين يقع دمهم في الطرز الهندي المنشوري يتلون بحسب الحديث المنقول بقايا النوافل من اهل آسيا . وفرق الدم التي تظهر في الابناء تتوقف على دماء الآباء والاجداد وعلى تشابه دماء آخر ابوين

بحث دماء المصريين

اردتُ تطبيق هذه الظاهرة في تعيين مقام المصريين بين سلائل البشر أو شعوبه وتعيين اصولهم ، فأخذت دماء ٣٠٦٤ فرداً من مختلف الناس المترددين على مستشفى الملك او عيادتي الخاصة وكلهم من العامة والطبقة الوسطى ومن هؤلاء حلل الدكتور لويس عوض نحواً من ١٣٠٠ دم وحللت بنفسي الباقين عدا دماء خمسة اقباط حللها الدكتور محمد علي

وكنت اسجل الاوصاف الخلقية الخاصة باللون ولون الشعر والعين وشكل الرأس والانف ومحل الميلاد واتقصى صراحة الفرد او الخلوص في نسبه او اختلاطه . وكان الدكتور لويس عوض يسجل بمعمل يحضّره في مساكن الصحة واشتغلتُ بمعمل من معامل حكومة النمسا بعد ان تأكدنا من لياقتها وضبط تأهبها

بدأت البحث زاعماً ان اهل هذه البلاد اخلاط من شعوب مختلفة وكنت اصف وابحث كل فرد دون اي اختيار . واردت ان اقابل بين الدليل الحيوي لاهل كل مديرية وهم الذين يعيشون الآن عيشة اسلافهم في هذه الاماكن ولاشك يحملون شيئاً من الدم الذي جرى في عروق هؤلاء الاسلاف، لان التاريخ لم يورد لنا خبر هجرة اكتسحت امامها جميع اهل مديرية من المديريات ، ولم يخبرنا بوباء قتل النسل بأجمعه . وبلاد مصر الخصبة التي تفيض بالماء واللبن والعسل وأنواع القوت لم ينعدم منها الخلق منذ اقدم العصور . فاذا ظهر لي ان الدلائل الشعبية واحدة في المديريات تبين تجانس القوم وان القول باختلاط هذا الشعب غير صحيح أو على الاقل مبالغ فيه ، او ان آثار هذا الاختلاط زالت الآن . واردت ان لا اعلن البحث قبل اتمام تحليل ٥٠٠٠ نموذج من الدم من مختلف الجهات حتى لا يكون هناك اعتراض على استنتاجي من فئة قليلة من الناس ، وحتى يكون فيه التفسير

الكافي لنفي الاقوال المتضاربة في أصولنا التي اشير اليها في المقال السابق أو التوفيق بينها

وقد استخلصت من بحث فرق الدم ما يأتي :

(١) — وجود تجانس في النسب المئوية والدليل النسبي في جهات القطر المختلفة ، فانهُ ٧ر ١ عدا القاهرة (٤٩ ر ١) والقليوبية (٣٣ ر ١) والجيزة (٤ ر ١) المجاورتين لها. وفي اصوان (٢٣ ر ١)

٢ — وحدة النسب بين الاقباط (٧ ر ١) ومجموع السكان . وتظهر ان الاقباط هم الفرقة التي تحدرت من قدماء المصريين واحتفظت بوحدتها القومية وان فقدت لغتها الاصلية ولم تختلط بالعرب او السوريين منذ نحو ١٣٥٠ عاماً

(٣) — اذا كان للاختلاط بالعرب اثر باق فهو في مديريتي القليوبية والجيزة والعاصمة لا غير، اما ما هناك من قبائل الاعراب النازلة على الحد الشرقي للوادي، فانهم لم تختلط بالفلاحين، اما النازلون من قبائل البدو في الجهة الغربية من أصل بربري ويتحدون في النسب الاصلي مع سائر السكان وان كانوا لا يزالون بدواً ، فلم احلل دماءهم بعد

اما الاستشهاد بانتشار الدودة المعقّفة التي تسبب مرض الرماع فيؤيد ما تقدم :

هذه الدودة نوعان الانكلوستوما والبكاتور اميركانا — الاولى منتشرة في شمال افريقية والثانية في وسط افريقية من الصومال الى السنغال وافريقية الوسطى والجنوبية . وقد انتقلت الدودة الاخيرة الى اميركا بانتقال العبيد وعدي بها البيض والسود معاً . وقد كان جلب العبيد شائعاً عند قدماء المصريين وقد قدروا ما كان يجلب منهم كل عام بثلاثة آلاف عبد ، وفي حكم الاتراك ازداد هذا العدد فقدر الاستاذ مامون Marmont, Revue de l'Orient 1893 عدد العبيد الذين يجلبون الى مصر بعشرة آلاف عبد كل عام وذلك قبل منع الرقّ . فيمكن تقدير الزنوج الذين دخلوا مصر منذ القدم بين ١٠ ملايين و١٢ مليوناً بين رجل وامرأة وطفل . ولو دخل جزء من مائة من هذا العدد في بلاد اخرى لاحدث انقلاباً في صور الناس وخلقهم ولكانت هذه الدودة شائعة في مصر شيوع الانكلستوما

ولكن الاستاذ خليل يستطيع ان يخبركم انهم لم يروا في مصري دودة واحدة من هذا النوع . ولو كان اصل المصريين من وسط افريقية لاتوا بهذه الديدان كامنة في اجسادهم وتناسلت وتكاثرت فيهم . اذاً ينتفي القول بان أصل المصريين من وسط افريقية او من الصومال نفياً تامًّا